موقف لويس بيلي
من النفوذ السعودي في عُمان
١٢٧٨ – ١٢٩٠هـ/ ١٨٦٢ – ١٨٧٣م

د. عبدالله بن إبراهيم التركي
قسم التاريخ – كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية – جامعة القصيم

بلغت الدولة السعودية الثانية أوج قوتها في الفترة الثانية من حكم الإمام فيصل بن تركي ١٢٥٩-١٢٨٢هـ/ ١٨٤٢-١٨٦٥م، وبدأ هذا الإمام يتطلع إلى استعادة نفوذ آبائه وأجداده كاملاً، فأعاد ضم الأحساء، ثم استعاد نفوذ دولته على منطقة جنوب شرق الجزيرة العربية[١]. ثم بدأت بريطانيا التي كانت تهيمن على الخليج العربي آنذاك باتخاذ تدابير معينة حتى لا يتغير الوضع الراهن في منطقة الخليج.

ولعل من أبرز الساسة البريطانيين الذين كان لهم دور في الحد من النفوذ السعودي في منطقة الخليج العربي هو:

(١) عثمان بن عبدالله بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، تحقيق وتعليق عبدالرحمن بن عبدالله آل الشيخ، ط٤، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ٢/٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٩-٢٣٠.

لويس بيلي(٢) [Lewis Pelly] المقيم البريطاني في الخليج في الفترة ما بين عامي ١٢٧٨-١٢٩٠هـ/ ١٨٦٢-١٨٧٣م.

النفوذ السعودي في عُمان قبيل تولي لويس بيلي منصبه في الخليج العربي:

كان النفوذ السعودي في عُمان بين مد وجزر، والذي يعنينا في هذا المقام هو دور المسؤولين البريطانيين في المنطقة في الحد من هذا النفوذ، فقد بدأ هذا الدور عندما استعاد الإمام فيصل بن تركي نفوذ دولته على منطقة البريمي(٣) عام ١٢٦١هـ/ ١٨٤٥م،

(٢) ولد لويس بيلي عام ١٢٤١هـ/ ١٨٢٥م، ودرس في إنجلترا، وبعد أن أتم تعليمه التحق بالقوات المسلحة لحكومة الهند البريطانية في بومباي، وأدى الخدمة العسكرية عام ١٢٧٤هـ/ ١٨٥٧م وقام بعدد من المهام السياسية، ثم كلف سكرتيراً في المفوضية البريطانية في طهران، ثم عين مقيماً سياسياً في زنجبار عام ١٢٧٨هـ/ ١٨٦١م ثم نقل ليكون مقيماً سياسياً لبريطانيا في الخليج العربي عام ١٢٧٨هـ/ ١٨٦٢م وكان مقر المقيمية في بوشهر، وبقي في عمله هذا حتى عام ١٢٩٠هـ/ ١٨٧٣م. وفي عام ١٣٣٠هـ/ ١٨٨٣م عرض عليه ملك بلجيكا العمل ليكون مديراً للكنغو، إلا أنه رفض هذا العرض، وانضم إلى عضوية البرلمان البريطاني، وتوفي عام ١٣١٣هـ/ ١٨٩٥م. انظر: لويس بلي، رحلة إلى الرياض، ترجمة وتحقيق عبدالرحمن الشيخ وعويضة الجهني، ط١، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ص هـ من مقدمة الترجمة؛ رجب حراز، إفريقية الشرقية والاستعمار الأوروبي، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٨م، ص٤٧٥؛ ج ج لوريمر، دليل الخليج، القسم التاريخي، ترجمة ونشر ديوان الشيخ أحمد آل ثاني حاكم قطر، الدوحة، د. ت، ١/٣٨٤. وسيشار إليه مستقبلاً دون ذكر [القسم التاريخي] أما إذا استعمل القسم الجغرافي فسيذكر في حينه.

(٣) البريمي: واحة تتألف من تسع قرى، تقع على بعد تسعين ميلاً جنوب شرق أبو ظبي، تسكنها قبائل النعيم، وبنو ياس. للاستزادة انظر: شركة الزيت العربية الأمريكية، عمان والساحل الجنوبي للخليج الفارسي، ط١، مطبعة مصر، القاهرة، ١٩٥٦م، ص١٩٩ وما بعدها.

وأخذ الزكاة من السيد ثويني بن سعيد(٤) الذي كان نائباً عن أبيه في حكم عمان، حيث قام سعد بن مطلق المطيري(٥) بحملته على ساحل مسقط، فوجه المعتمد البريطاني هامرتون(٦) [Hamerton] إنذاراً إلى القائد السعودي في عام ١٢٦١هـ/ ١٨٤٥م، كما كتب رسالة احتجاج إلى الإمام فيصل بن تركي. وكان هدف السعوديين هو تحصيل الزكاة من بلدان تلك المنطقة وخاصة سلطنة مسقط، فتم الاتفاق على أن يدفع السيد ثويني خمسة آلاف ريال نمساوي إلى الإمام

(٤) السيد ثويني بن سعيد بن سلطان البوسعيدي، هو الابن الثالث للسلطان سعيد، عينه أبوه نائباً عنه في الشطر الآسيوي من دولته، وتولى الحكم هناك رسميًا بعد وفاة والده عام ١٢٧٣هـ/ ١٨٥٦م، وقتله ابنه سالم عام ١٢٨٢هـ/ ١٨٦٦م. للتفصيل انظر: عبدالله بن صالح الفارسي، البوسعيديون حكام زنجبار، ترجمة محمد أمين عبدالله، ط٣، وزارة التراث القومي والثقافة في عمان، مسقط، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ص١٩.

(٥) سعد بن مطلق بن محمد المطيري، يعد هو ووالده مطلق من أبرز القادة السعوديين في الجنوب الشرقي من الجزيرة العربية، كان لهما دور بارز في نشر النفوذ السعودي في تلك المنطقة، وقد عيّن الإمام فيصل بن تركي سعد بن مطلق نائباً عنه في البريمي عام ١٢٥٢هـ/ ١٨٣٦م وحتى عام ١٢٦٦هـ/ ١٨٥٠م، والمطيري نسبة إلى قبيلة مطير وهي قبيلة غطفانية عدنانية. انظر: ابن بشر، مصدر سبق ذكره، ٢/٢٤٨-٢٤٩، ٢٧٦؛ حمد بن إبراهيم الحقيل، كنز الأنساب ومجمع الآداب، ط١٢، مطابع الجاسر، الرياض، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ص١٣٦.

(٦) هامرتون هو أول ممثل لبريطانيا في زنجبار، وعين ممثلاً لبريطانيا في مسقط قبل نقل السلطان سعيد عاصمة دولته إلى زنجبار، عمل على مقاومة النفوذ الفرنسي في شرق إفريقية للتفصيل. انظر:

F.O., 54/4, letter from Captain Hamerton to the Earl of Aberdeen, no. 82 Bombay, in 21 may 1842, p.68.

فيصل سنوياً، وكانت سفن الأسطول البريطاني تجوب سواحل السلطنة العمانية لدعم السلطان ضد السعوديين(٧).

وعندما عقدت مفاوضات بين السيد ثويني بن سعيد وسعد المطيري بشأن العلاقات بين الرياض ومسقط، نصح المقيم البريطاني في الخليج السيد ثويني بأن يصل إلى تفاهم مقبول مع السعوديين، وأن يقبل شروطهم إذا كانت لا تتعدى على كرامة والده بصفته حاكماً مستقلاً على مسقط، وإلا فإن عليه أن يُلوح بتدخل حكومة الهند البريطانية(٨)، وهذا ما عجَّل بالاتفاق بين الجانبين .

وقد استمر النفوذ السعودي قوياً في عُمان حتى عام ١٢٦٥هـ/ ١٨٤٩م عندما اعتدى شيخ أبو ظبي على القوة السعودية في البريمي، وهذا ما شجع السيد ثويني بن سعيد على رفض ما تعهد به للسعوديين عام ١٢٦١هـ/ ١٨٤٥م، ودخل في حلف مع شيخ أبوظبي، وحاول الاثنان إقناع السيد حمود بن عزان(٩)

(7) Badger, George Percey (ed), History of the Immams and Seyyids of Oman by Salil Ibn Razik, Now york, N D., P. XCl.

(٨) لوريمر، مصدر سبق ذكره، ٧١٢/٢.

(٩) السيد حمود بن عزان بن قيس بن أحمد البوسعيدي، كان له نفوذ في منطقة صحار، اختاره بعض أعيان عمان وعزموا على عقد الإمامة له، إلا أن السلطان سعيد استطاع أن يقبض عليه ويسجنه حتى مات. انظر: نور الدين عبدالله بن حميد السالمي، تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، د. ط، طبع ونشر مكتبة الإمام نور الدين السالمي، مسقط، د. ت، ٢١٦/٢-٢٢٣؛ حميد بن محمد بن رزيق، الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين، ط٤، تحقيق عبدالمنعم عامر، وزارة التراث القومي والثقافة في عُمان، مسقط، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م، ص٤٨٢-٤٨٣.

بالدخول معهما في هذا الحلف ضد النفوذ السعودي في المنطقة، إلا أن هذا الأخير لم يوافق[١٠]. ولهذا وغيره وصل الأمير عبدالله بن فيصل[١١] إلى البريمي، وكان السلطان سعيد[١٢] قد عاد إلى الشطر الإفريقي من دولته. فأصبحت عمان تعيش حالة من الفوضى بسبب وجود السلطان سعيد بعيدًا عنها، وكان ذلك سبباً في عودة النفوذ السعودي في البريمي بعد أن قدَّمت له كثير من قبائل المنطقة فروض الطاعة والولاء، وذلك في عام ١٢٦٩هـ/ ١٨٥٣م[١٣]، وهذا ما أدى إلى تدخل المقيم البريطاني بين الجانبين، فعقدت مفاوضات أسفرت عن اتفاقية تحالف بين السيد ثويني والأمير عبدالله بن فيصل، حيث التزمت حكومة مسقط

---

(١٠) عبدالفتاح حسن أبو علية، تاريخ الدولة السعودية الثانية، ط٤، دار المريخ، الرياض، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ص١٧٨.

(١١) الإمام عبدالله بن فيصل بن تركي بن عبدالله آل سعود، أكبر أبناء الإمام فيصل بن تركي، تولى قيادة الجيوش في عهد والده، وتولى الحكم من بعده عام ١٢٨٢هـ/ ١٨٦٦م إلا أن أخاه سعودًا رفض حكمه مما أدى إلى نشوب عدد من المعارك بينهما أنهت حكم الدولة السعودية الثانية. انظر: إبراهيم بن عيسى، تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة، الرياض، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ص١٢٥، ١٢٦، ١٢٨-١٢٩، ١٣١ وما بعدها.

(١٢) هو السيد سعيد بن سلطان البوسعيدي، أقام دولة ذات شقين، الشق الأول في آسيا وعاصمته مسقط، والشق الآخر في إفريقية وعاصمته زنجبار، توفي في البحر وهو عائد من مسقط إلى زنجبار عام ١٢٧٣هـ/ ١٨٥٦م. للتفصيل: حميد بن محمد بن رزيق، بدر التمام في سيرة السيد الهمام، كتاب ملحق بكتاب الفتح المبين للمؤلف نفسه، مصدر سبق ذكره، ص٤٠٥ وما بعدها.

(١٣) عبدالفتاح أبو علية، مرجع سبق ذكره، ص١٨٠.

بدفع الزكاة للرياض ومقدارها اثنا عشر ألف ريال نمساوي، إلى جانب متأخرات في حدود ستة آلاف ريال، والتزم الجانبان بمساعدة بعضهما في حالات الدفاع عن النفس، ضد أي عدوان. ثم رجع الأمير عبدالله بن فيصل وترك أحمد السديري(١٤) وكيلاً عنه في البريمي(١٥).

وفي عام ١٢٨٠هـ/ ١٨٦٤م نشب نزاع بين السلطان ثويني والسيد عزان بن قيس(١٦)، الذي أبدى رغبته في تحويل ولائه إلى السعوديين، وأراد أن يدفع الزكاة لهم مباشرة، وهذا ما دفع بالسلطان ثويني إلى القيام بحملة عسكرية ضده، ولكن هذه الحملة لم تنجح بسبب تدخل السعوديين ومساندتهم لعزان، وذكر المقيم السياسي البريطاني في مسقط - في رسالة له إلى حكومة الهند البريطانية - أن السلطان ثويني طلب مده

(١٤) أحمد بن محمد بن سليمان السديري، أحد القادة السعوديين البارزين، حظي بمكانة خاصة لدى الإمام فيصل بن تركي، تولى إمارات عدد من المناطق السعودية، توفي عام ١٢٧٧هـ/ ١٨٦٠م، للتفصيل انظر: أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري، أحمد السديري الأول، مجلة الدرعية، س ١، عدد ١، المحرم ١٤١٩هـ/ مايو ١٩٩٨م، ص٤٧-١٢٣.

(15) Aitchison ,C.V., A Collection of Treaties, Engagements and Sanads Relating to Calcutta,1909. P. 185; India and Neighbouring Countries, Vol Xl;

لوريمر، مصدر سبق ذكره، ٣/ ١٦٦٠.

(١٦) السيد عزان بن قيس بن عزان بن قيس بن أحمد البوسعيدي، كان حاكمًا للرستاق ثم بُويع إماماً للعمانيين بعد ثورة القبائل الإباضية على سالم بن ثويني، وذلك عام ١٢٨٥هـ/ ١٨٦٨م، وانتهى حكمه عام ١٢٨٧هـ/ ١٨٧١م بسبب عدم مساندة بريطانيا. له انظر: السالمي، مصدر سبق ذكره، ٢/ ٢٤٨.

بالذخيرة، وقال هذا المسؤول البريطاني: إن كلا الجانبين السعودي والعماني لهما علاقات حسنة مع الحكومة البريطانية. وعلى أي حال، فقد اقترح السلطان ثويني أن تسوَّى الخلافات بين الجانبين عن طريق المقيم البريطاني في الخليج العربي(١٧). هكذا كانت العلاقات السعودية العمانية عند تولي لويس بيلي مسؤولياته في الخليج العربي.

موقف بيلي من النفوذ السعودي في عُمان قبيل رحلته إلى الرياض:

تولى لويس بيلي مهام عمله في بوشهر(١٨) مقيماً سياسياً لبريطانيا في الخليج العربي في الفترة ما بين عامي ١٢٧٨-١٢٩٠هـ/ ١٨٦٢-١٨٧٣م، وكانت هذه الفترة فترة توسع اقتصادي وتجاري بريطاني في منطقة الخليج، وذلك بعد تطور وسائل المواصلات البخارية والبريد والبرق، وتزايد المصالح البريطانية في المنطقة. ومنذ استلام بيلي مهام عمله عمل على تثبيت النفوذ البريطاني في المنطقة، وكتب خطاباً إلى حكومته - وذلك في رجب ١٢٧٩هـ/ يناير ١٨٦٣م - ضمنه رؤيته بهذا الشأن، ومن أهم ما طالب به نقل مقر المقيمية البريطانية من الساحل الشرقي للخليج العربي إلى الساحل الغربي منه، وذلك في منطقة ساحل عمان؛ من أجل

(17) I.O.R, L /P and S/20/C, the Precis of Najid Affairs, p.18.

(١٨) بوشهر: ميناء رئيس على الجهة الشرقية من الخليج العربي، سكانه خليط من الفرس والعرب والأرمن، ويتبع الآن الجمهورية الإيرانية. انظر:

I.O.R V/23/217, Memoir Descriptive of the Navigation of the Gulf Persian, p.p.584-586.

تحقيق الأهداف المطلوبة بشكل أفضل، إلا أن حكومته لم توافقه على ذلك[١٩].

وعلى أي حال، فقد ذكر أحد الباحثين أن بيلي - عند تولي مهام عمله في الخليج العربي - كتب رسالة إلى الإمام فيصل بن تركي طلب منه التعاون في ضبط الأمن في المنطقة، إلا أن رد هذا الأخير كان مناهضًا لبريطانيا ومنددًا بسياستها في المنطقة[٢٠].

وعندما اقترح السلطان ثويني بن سعيد أن تسوى الخلافات بين مسقط والرياض عن طريق المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي - عقب فشل حملته على عزان بن قيس في شعبان ١٢٨١هـ/ديسمبر ١٨٦٤م - كلفت الحكومة البريطانية بيلي بكتابة تقرير عن الخلافات بين سلطان مسقط والسعوديين، وبأن يبذل مساعيه لتسوية تلك الخلافات. فقام بيلي بزيارة إلى مسقط في ذي الحجة ١٢٨١هـ/إبريل ١٨٦٥م، وتوصل إلى أن النزاع بين الجانبين يقوم على مسألتين:

الأولى: تحول ولاء عزان بن قيس من مسقط إلى الرياض[٢١].

---

(١٩) لوريمر، مصدر سبق ذكره، ١/٣٨٤-٣٩٢.

(٢٠) جون كيلي، بريطانيا والخليج ١٧٩٥ - ١٨٧٠م، ترجمة محمد أمين عبدالله، ط١، وزارة التراث القومي والثقافة في سلطنة عمان، مسقط، د. ت، ٢/٤٤٩-٤٥٠.

(٢١) حوَّل السيد عزان بن قيس ولاءه إلى السعوديين مستغلاً خلافًا بين مسقط والرياض حول مبلغ الزكاة، وذلك بسبب عدم خضوعه =

الثانية: الخلاف على مبلغ الزكاة المدفوع من قبل سلطان مسقط إلى الإمام فيصل الذي طلب زيادته(٢٢).

وإزاء هذا الأمر عرض بيلي وساطته، فكتب إلى الإمام فيصل رسالة طلب منه أن يقبل تدخله لحل النزاع الذي بينه وبين السلطان ثويني بن سعيد، وفي الوقت نفسه كتب إلى حكومة الهند البريطانية أنه يشك في أنه سيتلقى رداً مشجعاً من الإمام فيصل؛ لأن قوته أضعاف قوة سلطان مسقط، وأنه يستطيع أن ينتصر عليه بسهولة، ويفرض الشروط التي يريدها. وقال بيلي إن فيصلاً سوف يرفض هذه الوساطة، لأنه يدرك أنها ستدعم سلطان مسقط الضعيف(٢٣).

وفي الوقت نفسه رفض السيد عزان بن قيس وساطة بيلي الذي طلب منه الحضور إلى مسقط، وأخبره أن وساطته جاءت متأخرة؛ لأنه أعطى ولاءه للسعوديين، ووصل في هذه الأثناء الوكيل السعودي إلى مسقط وطلب من السلطان ثويني بن سعيد زيادة مبلغ الزكاة، ولكن السلطان ثويني - وبناء على توصية بيلي - رد على الوكيل السعودي بأنه قد قام بأداء ما التزم

= للسلطان ثويني بن سعيد وسعيه لإعادة الإمامة الإباضية في عمان، فانتهز عزان بن قيس هذا الخلاف فوثَّق علاقته مع السعوديين من أجل التقوِّي بهم ضد سلطان مسقط. انظر:

I.O.R, L /P and S/20/C, 240, OP. Cit., p.18.

(22) I bid, p.20.

(23) Kumar, Ravinder ,India and The Persian Gulf Region , Astudy in Britis Imperial Policy, Bombay, 1955, p.43.

به، أما فيما يتعلق بالزيادة المقترحة فإنه سوف ينتظر ما تسفر عنه وساطة بيلي(٢٤).

وأشار بيلي في تقريره إلى حكومته حول هذه المسألة فقال: "لو قام سلطان مسقط باستشارتي قبل أن يتصرف لنصحته بأن يتجنب الصراع مع السعوديين ،وأن يؤجل تحركاته، وأن يستخدم اسمي وسيطًا حتى أتمكن من الاتصال بالأمير السعودي". وذكر بيلي بعد ذلك أنه يتفهم الدوافع التي جعلت سلطان مسقط يسعى لوساطته في هذا الأمر، لكنه يدرك جيداً أن هذه الوساطة لن تؤثر في الإمام السعودي، بل إنها ستجعله يجزم بأننا نعمل لصالح حكومة مسقط(٢٥).

واتفقت معه حكومة الهند في رأيه، وكتبت خطاباً في ذي القعدة ١٢٨١هـ/ ٢٢ مارس ١٨٦٥م إلى السلطان ثويني بن سعيد وأوصته بأن يسعى جهده لتحسين علاقاته مع السعوديين(٢٦). وعلى الرغم من ذلك فإن السعوديين رفضوا وساطة بيلي، واعتبرت العلاقات بينهم وبين حكومة الهند البريطانية شبه مقطوعة(٢٧).

(24) I.O.R, L /P and S/20/C 240, OP. Cit., p.21;

لوريمر، مصدر سبق ذكره، ١٦٦٢/٣.

(25) I.O.R, L/P.and S/20/C, 240, OP. Cit ., p.19.

(26) I bid.

(٢٧) لوريمر، مصدر سبق ذكره، ٣٧٢/١.

رحلة بيلي إلى الرياض وأثرها في توجيه السياسة البريطانية في المنطقة:

قام بيلي في ربيع عام ١٢٨١هـ/ ١٨٦٥م برحلة إلى الرياض، وكان هناك عدد من الأهداف التي يعزم على تحقيقها من وراء هذه الزيارة، ويمكن إجمالها هنا فيما يلي:

١ - العمل على إيجاد تسوية ودية للنزاع بين مسقط والرياض[٢٨].

٢ - إزالة العداء بين الحكومتين السعودية والبريطانية الذي نتج عن الحملة البريطانية لمكافحة تجارة الرقيق في الخليج العربي وشرق إفريقيا[٢٩]، ومحاولة بناء علاقة صداقة وسلام بين الجانبين من أجل تنمية التجارة في منطقة الخليج العربي[٣٠].

٣ - بحث مسألة القرصنة التي كانت تمارس في الخليج العربي [على حد زعم المسؤولين البريطانيين]، وكذلك أعمال السلب والنهب التي تتعرض لها السفن البريطانية بين الفينة والأخرى.

---

(٢٨) كيلي، بريطانيا والخليج، ٢/ ٤٥٠.

(٢٩) شنت بريطانيا في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي حربًا على السفن العربية التي تتهمها بتجارة الرقيق الأمر الذي نتج عنه تدمير التجارة العربية المشروعة في تلك الفترة. انظر: بلي، مصدر سبق ذكره، ص١٢؛ كيلي، بريطانيا والخليج، ٢/ ٣٤٩ وما بعدها.

(٣٠) بلي، مصدر سبق ذكره، ص٢-٣.

٤ – العمل للحصول على تأييد الإمام فيصل لسياسة بريطانيا تجاه تجارة الرقيق[٣١].

هذا إضافة إلى أهداف أخرى لا يتسع المجال لذكرها هنا.

وكانت رحلة بلجريف[٣٢] [Palgrave] في الجزيرة العربية خلال الفترة ما بين عامي ١٢٧٩-١٢٨٠هـ/ ١٨٦٢-١٨٦٣م قد أوقدت حماس بيلي للقيام بعمل مماثل، ولا سيما بعد أن تسربت إليه معلومات عن أهداف هذه الرحلة، والتي من أهمها أن الحكومة الفرنسية قد أوفدت بلجريف من أجل جمع معلومات عن تحركات البريطانيين في الخليج، والبحث عن مكان لإنشاء مستوطنة فرنسية في المنطقة[٣٣].

ومن هنا نجد أن بيلي قد غادر بوشهر في بداية رحلته إلى الرياض دون علم حكومته، ذلك أن خطابه المتضمن شرح الأسباب التي دفعته إلى تلك الخطوة لم يُرسل من بوشهر إلا بعد مضي شهر من بدء رحلته، كما أنه لم يلق ترحيبًا أو معارضة لزيارته من جانب الإمام فيصل بن تركي[٣٤].

---

(٣١) أبو علية، مرجع سبق ذكره، ص١٤٤-١٤٥.

(٣٢) بلجريف: رحالة إنجليزي زار نجد ومناطق أخرى في بلاد العرب لحساب الحكومة الفرنسية توفي عام ١٣٠٦هـ/ ١٨٨٨م. انظر: مجموعة العلماء، المنجد في اللغة والإعلام، ط ٣٣، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٢م، ٢/١٣٥؛ أبو علية، مرجع سبق ذكره، ص١٣٧-١٣٩.

(٣٣) كيلي، بريطانيا والخليج، ٢/٤٤٧-٤٤٨.

(٣٤) بلي، مصدر سبق ذكره، ص٢١؛ لوريمر، مصدر سبق ذكره، ٣/١٦٦٦؛ كيلي، بريطانيا والخليج، ٢/٤٥٠.

عندما وصل بيلي إلى الرياض وجد أن الإمام فيصل مستاء من تصرفات الحكومة البريطانية، والأسلوب الذي اتبعته بريطانيا في مكافحة تجارة الرقيق في منطقة الخليج العربي، وقد نتج عنه تدمير عدد كبير من السفن العربية، إلا أنه في الوقت نفسه يرغب في إقامة علاقات طيبة معها[٣٥].

ومهما يكن الأمر، فإن رحلة بيلي إلى الرياض لم تحقق نتائج سياسية ذات قيمة[٣٦]، إلا أنه أدرك أن توتر العلاقات بين مسقط والرياض قد بلغ ذروته.

وعندما عاد بيلي من رحلته إلى الرياض ووصل إلى بوشهر، بعث ببرقية إلى حكومة الهند البريطانية ذكر فيها أن العلاقات بين الإمام فيصل بن تركي والسلطان ثويني بن سعيد تتطلب اهتمامًا سريعًا، وإذا كانت هذه الحكومة لا تزال راغبة في أن يتولى هذه المهمة فإنه يقترح أن يُخوَّل بزيارة مسقط ثم بومباي. فوافقت حكومة الهند البريطانية، على هذا المقترح ومُنح بيلي الصلاحيات اللازمة[٣٧].

(٣٥) بلي، مصدر سبق ذكره، ص١٢، ٧٦-٧٧؛ كيلي، بريطانيا والخليج، ٢/٤٥٥.

(٣٦) لوريمر، مصدر سبق ذكره، ٣/ ١٦٦٨، ويعلل لوريمر عدم تحقيق نتائج مهمة بالمرض الذي أصاب الإمام "فيصل" بعد زيارة بيلي بثلاثة أشهر.

(٣٧) فؤاد سعيد العابد، سياسة بريطانيا في الخليج العربي ١٨٥٣-١٩١٤، ط١، دار ذات السلاسل، الكويت، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ٢/٤٥.

مجلة فصلية محكمة تصدر عن دارة الملك عبدالعزيز
العدد الأول المحرم ١٤٣٠هـ، السنة الخامسة والثلاثون
الدارة

غادر بيلي بوشهر في شهر شوال ١٢٨١هـ/مارس ١٨٦٥م، ومكث في مسقط بعضاً من الوقت، ثم واصل سفره إلى بومباي، وقدّم هناك تقريراً إلى حكومته بيَّن فيه رأيه في طبيعة العلاقات بين مسقط والرياض، وكان بيلي في تقريره ذلك متأثراً بنتائج رحلته إلى الرياض[٣٨].

ومن هذ المنطلق أوصى حكومة بلاده بأن تقدم المساعدات اللازمة للسلطان ثويني بن سعيد، وتؤيد جهوده في مواجهاته مع السعوديين، حتى ولو تعارض هذا التأييد مع مبدأ السياسة البريطانية القائمة على عدم التدخل في النزاع الذي ينشب بين حكام شبه الجزيرة العربية، ولا سيما أن عمان - على حد زعم بيلي - لها وضع خاص؛ لأن حكومة الهند البريطانية تعتبر ملتزمة التزاماً صريحاً بتأييد السلطان ضد خصومه، اعتماداً على اتفاقية عام ١٢١٣هـ/ ١٧٩٨م[٣٩]، وعلى البيان البريطاني الفرنسي المشترك عام ١٢٧٨هـ/ ١٨٦٢م القاضي باحترام استقلال شطري السلطنة العمانية عن بعضهما ووحدة أراضي كل منهما. ولهذا طلب بيلي من حكومته أن تسمح للسلطان ثويني بفرض حصار بحري على سواحل الأحساء، وتقديم احتجاج مباشر إلى

---

(٣٨) لم يكن بيلي راضيًا عن مستوى الاستقبال الذي حظي به في الرياض حيث أقام في بيت معزول مخصص للأجانب، واعتبر الاستقبال الذي لقيه كان فاتراً، وأدرك سخط الإمام فيصل بن تركي على السياسة البريطانية في الخليج العربي، وهذا مالم يعجب بيلي الذي اتخذ سياسة متشددة مع السعوديين فيما بعد. انظر: بلي، مصدر سبق ذكره، ص٧٤-٨٧.

(٣٩) كيلي، بريطانيا والخليج، ٢/٤٥٨.

الإمام فيصل أو عن طريق الدولة العثمانية، وأكد ضرورة مناصرة حق السلطان ثويني في حماية حدود بلاده[٤٠].

ويؤكد أحد الباحثين[٤١] أن عدم اهتمام الإمام فيصل بن تركي بزيارة بيلي إلى الرياض جعله يحمل حقداً عليه، وهذا ما حمله على أن يوصي حكومته بالوقوف إلى جانب السلطان ثويني ضد السعوديين. ولكن يمكن القول إن السياسة البريطانية الدائمة في منطقة الخليج آنذاك هي دعم الحكام الذين وقعوا اتفاقيات معها دون غيرهم، كما أن علاقة السلطان ثويني بالحكومة البريطانية لا يمكن مقارنتها بعلاقتها مع الإمام فيصل. وعلى أي حال، وافقت حكومة الهند البريطانية على تقديم الدعم العسكري اللازم للسلطان ثويني، فتم الإيعاز إلى قائد الأسطول البريطاني في بومباي بأن يرسل السفن التي يمكنه الاستغناء عنها إلى منطقة الخليج، وذلك في أسرع وقت ممكن، كما أنها أعطت بيلي الصلاحيات اللازمة لاستخدام هذا الأسطول لتحقيق تفاهم بين السلطان ثويني والإمام فيصل، على ألا يقوم بأي عمليات عسكرية في البر. وفي الوقت نفسه مُنح السلطان ثويني مدفعين يستعين بهما في محاربة السعوديين في البريمي[٤٢].

وهكذا اتجهت حكومة الهند البريطانية لدعم السلطان ثويني بن سعيد ضد السعوديين، وكانت تقارير بيلي ذات أثر

(٤٠) كيلي، بريطانيا والخليج، ٢/٤٥٧-٤٥٨.

(٤١) العابد، مرجع سبق ذكره، ص٤٥-٤٦.

(٤٢) كيلي، بريطانيا والخليج، ٢/٤٦١-٤٦٢.

بالغ في توجيه هذا الدعم. غير أن هذه الحكومة لا ترى التدخل العسكري المباشر في نزاعات هذا السلطان مع خصومه، ولا سيما في الجانب البري، وإنما يمكن للمقيم البريطاني التلويح باستخدام القوة البحرية لدعم السلطان إذا لزم الأمر. ولكن بيلي منذ عودته من رحلته إلى الرياض أخذت سياسته تتشدد إزاء السعوديين ولهذا نجد أنه يخالف آراء حكومته في بعض الأحايين.

الاعتداء البريطاني على الموانئ السعودية:

لم يكن السلطان ثويني بن سعيد يحظى بقبول كافة القبائل العمانية، ولا سيما بعد خضوع هذا السلطان لحكومة الهند البريطانية، وقبوله بالحكم الذي أصدرته بتقسيم السلطنة العمانية، وموافقته على الإجراءات التي تتخذها هذه الحكومة ضد السفن العمانية التي تتهم بتجارة الرقيق، وهذا ما أدى إلى ظهور معارضة لهذا السلطان من قبل بعض القبائل السنية والإباضية على حد سواء. ففي عام ١٢٨٢هـ/ ١٨٦٥م قامت ثورة في بلدة صور(٤٣) العمانية بزعامة قبيلتي الجنبة(٤٤) وبنو

(٤٣) صور: ميناء عماني مهم يقع على ساحل الباطنة في الجنوب الغربي من مسقط، وهو ميناء تجاري يأتي في المرتبة الثانية بعد مسقط. انظر: مايلز، س.ب، الخليج بلدانه وقبائله، ترجمة محمد أمين عبدالله، ط٤، وزارة التراث القومي والثقافة في عمان، مسقط، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م، ص٢٨٤.

(٤٤) الجنبة: من أكبر القبائل العمانية وهم من القبائل السنية الغافرية، يعملون في التجارة مع شرق إفريقيا، كانوا معادين للنفوذ البريطاني في عمان. انظر: شركة الزيت العربية الأمريكية، مصدر سبق ذكره، ص١٣١-١٣٤؛ كيلي، بريطانيا والخليج، ٢/٤٦٦.

بو علي[٤٥] ضـد السلطان ثويني، وطلب الثـائرون العـون من الأمير السعودي على منطقة البريمي تركي بن أحمد السديري، فهب لنجدتهم، واشتركت قوات السعوديين معهم، فسيطروا على حصن البلدة، كما دخلوا سوقها، وتضرر بعض أصحاب الدكاكاين، ومعظمهم من رعايا حكومة الهند البريطانية من الجالية الهندية، وقُتل أحدهم، وتذكر الوثائق البريطانية أنهم جُـردوا من كل شيء قبل أن يسمح لهم بمغادرة صور إلى مسقط، وقدرت هذه المصادر خسائرهم بسبعة وعشرين ألف دولار نمساوي. ولم يكن السلطان ثويني لوحده قادرًا على الدفاع عن هيبته؛ لذا بعث بيلي برسالة احتجاج باسم الحكومة البريطانية إلى الإمام فيصل وإلى الأمير السعودي على منطقة البريمي تركي السديري[٤٦].

وكان هذا الاحتجاج شديد اللهجة، حيث جاء فيه :"إذا لم يقم الأمير السعودي بتقديم ترضية كافية عن الأعمال العدوانية في خلال سبعة عشر يوماً؛ فستقوم المدرعات البريطانية بتحطيم القلاع الساحلية، ومصادرة السفن التابعة للسعوديين"[٤٧]. كما طلب من الحكومة السعودية أن تدفع خسائر الرعايا البريطانيين، وأن تتعهد بعدم القيام بعمل مماثل في المستقبل[٤٨].

(٤٥) بنوعلي: قبيلة عمانية ترجع في أصولها إلى بني تميم وهي من القبائل السنية الغافرية، وهي بادية وحاضرة قدر عددهم آنذاك بتسعة آلاف نسمة. انظر: مايلز، مصدر سبق ذكره، ص٢٥٣.

(46) I.O.R, L/P and S/20 /C 240, OP. Cit., p.21;

لوريمر، مصدر سبق ذكره، ٢/٧٣٦-٧٣٧.

(٤٧) أبو علية، مرجع سبق ذكره، ص٢٤٢-٢٤٣.

(٤٨) المرجع نفسه، الصفحات ذاتها.

أما حكومة الهند البريطانية فقد صدرت تعليماتها إلى بيلي وإلى قائد الأسطول البريطاني في الخليج بأن يتخذا ما يريانه مناسباً من الإجراءات لحل هذه الأزمة بطريقة سلمية، إلا أن بيلي لم يلتزم بهذه التعليمات، فأراد أن يستعمل القوة من أجل حلِّ هذا النزاع، وحظي هذا الرأي بموافقة قائد الأسطول البريطاني في المنطقة(٤٩).

ولم يلبث بيلي أن تلقى رداً لطيفًا من الإمام فيصل على الاحتجاج الذي بعث به الأول، وقد ذكر الإمام فيصل أنه أصدر تعليماته إلى نائبه في البريمي بالإفراج عن الرهائن، وإعادة الممتلكات التي أخذت منهم، إلا أنه لم يذكر شيئًا عن التعويضات أو الديات عمن قتل.

وعندما علمت حكومة الهند بهذا الرد رأت أن المطالبة بدفع تعويضات أمر غير وارد، وأوعزت إلى بيلي أن يبين للإمام فيصل أن سلطان عمان حليف لها، وأنها سوف تنظر إلى أي عمل ضده في المستقبل بأنه عمل عدائي وخطير، وفي الوقت نفسه أوصت بضرورة الوصول إلى حل سلمي للأزمة(٥٠).

على أن بيلي لم يكن مقتنعًا بمنهج حكومته في معالجة هذه الأزمة، وأصرَّ على التدخل سياسيًا وعسكريًا، مخالفًا بذلك ما التزم به عند زيارته الرياض عام ١٢٨٢هـ/ ١٨٦٥م

(٤٩) عرض حكومة المملكة العربية السعودية، ١/٢٢٥-٢٢٦، نقلاً عن أبو علية، مرجع سبق ذكره، ص٢٤٣.

(٥٠) كيلي، بريطانيا والخليج، ٢/٤٦٢-٤٦٣.

من أن بلاده لا تتدخل في شؤون العرب، فعمل على إقناع حكومته بالتدخل ودعم السلطان ثويني عسكرياً ومعنويًا، إضافة إلى تدخل الأسطول البريطاني بقصف الموانئ السعودية على الخليج العربي.

كان بيلي في هذه الأثناء يزور مسقط، فشجع السلطان ثويني على الهجوم على الحامية السعودية في البريمي، ونقل إليه موافقة حكومة الهند البريطانية على إعطائه مدفعين وذخيرة، وأخبره أنه [أي بيلي] يستعد لحصار الموانئ السعودية في القطيف(٥١) والعقير(٥٢)، وأنه تلقى تأكيدات من شيوخ البحرين بالتعاون معه في هذا الأمر(٥٣). وعندما بدأ السلطان ثويني بحشد القبائل استعداداً للهجوم على الحامية السعودية في البريمي،

(٥١) القطيف، ميناء سعودي على الخليج العربي، مقابل البحرين تصفه المصادر البريطانية بأنه الميناء الرئيس للسعوديين، تقدر منازله آنذاك بخمسين منزلاً.

انظر:

I. O.R, V/23/217, Pirate Ports in The Persian Gulf, p.17-18;

حمد الجاسر، المعجم الجغرافي للبلاد السعودية "المختصر" ط١، دار اليمامة، الرياض، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧، ٢/ ٨٤٠.

(٥٢) العقير: ميناء سعودي على الخليج العربي، يتبع منطقة الأحساء، تصفه المصادر البريطانية في تلك الفترة بأنه ميناء مهم وبه قلعة حربية. انظر:

I.O.R, V/23/217, pirate Ports in The Persian Gulf, p.18-19;

الجاسر، مرجع سبق ذكره، ٢/١٠٠٥.

(53) I.O.R, L/P and S/20/C 240, OP. Cit., p.21;

لوريمر، مصدر سبق ذكره ١/ ٣٧٣ ؛ كيلي، بريطانيا والخليج، ٢/ ٤٦٣.

قام السعوديون بالهجوم على صحم[٥٤]، وطردوا رعايا حكومة الهند البريطانية الذين كانوا بها، وغرق أحدهم[٥٥].

وفي هذه الأثناء قام الكابتن باسلي [Pasley] قائد السفينة هاي فلاير [High Flgyer] بزيارة مسقط ثم صحار[٥٦] حيث سلّم هناك المدفعين والذخيرة للسلطان ثويني، وتلقى باسلي هناك رسالة من بيلي جاء فيها: "إن حكومة صاحبة الجلالة لن تقوم بعمل في البر لكي تساعد السلطان، ولكنها مستعدة لمساندته بحرًا، وأن الأسلوب الذي يمكن أن يقوموا به ويؤثر على السعوديين هو محاصرة موانئهم في العقير، والقطيف، والدمام[٥٧]". ولم يلبث أن اجتمع بيلي مع باسلي وقررا إرسال إنذار مكتوب إلى الحكومة السعودية، وقد تضمن هذا الإنذار ما يلي:

١ - أن تقدم الرياض اعتذاراً كاملاً عما حدث في ميناء صور.

٢ - أن تدفع الحكومة السعودية مبلغ (٢٧,٠٠٠) دولار نمساوي تعويضاً عما أصاب الرعايا البريطانيين من جراء أحداث صور.

٣ - أن يكون تنفيذ ما جاء في هذا الإنذار في حدود سبعة عشر يوماً. وإذا انتهت هذه المدة ولم يستجب السعوديون

---

(٥٤) صحم: بلدة تقع على ساحل الباطنة، تبعد عن مسقط نحو ١٨٥كم، وتحيط بها مزارع النخيل. انظر: مايلز، مصدر سبق ذكره، ص٣٦٥.

(٥٥) لوريمر، مصدر سبق ذكره، ٢/٧٣٧.

(٥٦) صحار: ميناء مهم في عمان، يقع على ساحل الباطنة، يبعد عن مسقط نحو ١٥٠ميلاً، انظر: مايلز، مصدر سبق ذكره، ص ٣٦٤-٣٦٥، لوريمر، مصدر سبق ذكره ،القسم الجغرافي، ٧/٢٤٠٠.

(57) I. O.R., L/P and S/20/C, 240, Op. Cit., P. 25.

لهذه المطالب، فإن السفن البريطانية ستقوم بتدمير القلاع السعودية في موانئ الدمام والقطيف والعقير، وستصادر السفن والقوارب التابعة لها(٥٨).

وبعد هذا الإنذار أرسل بيلي رسالة إلى الحاكم العام للهند ضمَّنها تفاصيل خطته فقال: "أعتزم توجيه الضربة في هدوء، وفي هذا الأسلوب أبدو - في حالة فشل الخطة - وكأنني لم أوجه أي ضربة إلى هؤلاء الوهابيين الذين لا يمكن أن يرتدعوا إذا لم نوجه إليهم ضربة قاصمة، إنهم يعتقدون أن الإنجليز وحتى ضباطهم يخافون من الوهابيين"(٥٩).

وفي خضم هذه الأزمة توفى الإمام فيصل بن تركي، وذلك في رجب ١٢٨٢هـ/ديسمبر ١٨٦٥م(٦٠). وعلى الرغم من أن بيلي علم بوفاة الإمام فيصل في ٢١ شعبان ١٢٨٢هـ/ ٨ يناير ١٨٦٦م، إلا أنه طلب من باسلي تنفيذ الخطة كما رسمت سابقاً، وحينما حلَّ يوم ١٧ صفر ١٢٨٢هـ/ ٢ فبراير ١٨٦٦م، ولم يتلق باسلي رداً من الرياض، أمر بالهجوم، فتقدم نحو ميناء القطيف، وقامت القوات البريطانية بتدمير سفينتين شراعيتين، وحصناً صغيراً في الميناء. وفي اليوم التالي حاولت هذه القوات قصف حصن الدمام، إلا أن العملية

(58) Ibid, p.26-28;

كيلي، بريطانيا والخليج، ٢/٤٦٦؛ عبدالعزيز عبدالغني إبراهيم، سياسة الأمن لحكومة الهند في الخليج العربي ١٢٧٥-١٣٣٣هـ/ ١٨٥٨-١٩١٤م، ط١، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ١٢٦-١٢٧.

(٥٩) كيلي، بريطانيا والخليج، ٢/٤٦٥.

(٦٠) ابن عيسى، مصدر سبق ذكره، ص١٢٨.

فشلت، وقتل أربعة جنود بريطانيين، وجرح ضابطان وثلاثة جنود. ثم قامت هذه القوات بقصف قلعة الدمام، لكن الصخور والفجوات على الشاطئ عاقت حركة السفينة، بحيث لم تصل القذائف إلى أهدافها(٦١).

ومهما يكن الأمر، فقد واجه بيلي لومًا شديداً من عدد من المسؤولين في حكومة الهند البريطانية بسبب فشل القوات البريطانية في قصف القطيف والدمام؛ وذلك لعدد من الأسباب يأتي في مقدمتها عدم مرافقة بيلي السفينة "هاي فلاير" عند توجهها للموانئ السعودية، أي أن عدم وجود مسؤول بريطاني له خبرة كافية بالأوضاع المحلية من أهم أسباب الفشل كما صرح بذلك قائد الأسطول الملكي لحكومة بومباي(٦٢).

ومن هنا نرى أن حكومة الهند البريطانية تخلت عن حيادها المزعوم(٦٣) في سبيل الدفاع عن مصالحها ومصالح حلفائها، فحرضت سلطان مسقط على الهجوم على البريمي، وأمدته بالسلاح والعتاد اللازمين.

---

(61) I.O.R, R/15/6/4, Letter from Lievtenant Colonel L. pelly Political Resident, Persian Gulf to C. Gonne, Esqire Secretary of Government, Bombay, In25 Marsh 1866, p.73;

لوريمر، مصدر سبق ذكره ١/٣٧٨؛ كيلي، بريطانيا والخليج، ٢/٤٦٦.

(٦٢) كيلي، بريطانيا والخليج، ٢/٤٧٠-٤٧١.

(٦٣) على الرغم من موافقة حكومة الهند البريطانية على الخطوات التي اتخذها بيلي ضد السعوديين، إلا أنها لاحظت على بيلي أنه لم يسمح بمرور وقت كاف لوصول رد من الرياض، كما أن الشروط التي طلبها من السعوديين كانت أكثر مما تتطلبه الظروف. انظر:

I.O.R, R/15/6/4, Letter from Lievtenant Colonel L Pelly.... Op. Cit., p.67.

سياسة بيلي تجاه النفوذ السعودي في عمان بعد وفاة الإمام فيصل:

لم تسهم وفاة الإمام فيصل بن تركي في تخفيف سياسة بيلي المناوئة للسعوديين، بل إنه مضى قدماً في مناصرة السلطان ثويني بن سعيد، فعندما علم بهذا الخبر طلب من السلطان العماني سرعة تنفيذ خطته بالهجوم على البريمي، لأن بيلي عرف - حينما كان في الرياض - أن العلاقة بين عبدالله وسعود ابني الإمام فيصل بن تركي ليست على ما يرام(٦٤)، ولهذا نصح السلطان ثويني بالمبادرة بالاستيلاء على البريمي، قبل أن يتفرغ السعوديون وينظموا شؤونهم، وتتبين مسألة من سيتولى الإمامة(٦٥) في الرياض(٦٦).

هذا الموقف الذي اتخذه بيلي شجع السلطان ثويني على التقدم لمهاجمة البريمي، منتهزاً بذلك فرصة وفاة الإمام فيصل، وحدوث انشقاق بين أبنائه، وقد وجد تأييداً كبيراً من القبائل الهناوية(٦٧)، ولا سيما في المنطقة الشرقية من عمان(٦٨)، ثم

(٦٤) بلي، مصدر سبق ذكره، ص١١٠.

(٦٥) الواقع أن مسألة الإمامة في الرياض بعد وفاة الإمام فيصل محسومة لابنه الأكبر عبدالله جريًا على العادة التي سار عليها آل سعود منذ الدولة السعودية الأولى.

(66) Kumar, Op. Cit., p.35-36.

(٦٧) تنقسم القبائل العمانية في فترة البحث من حيث المذهب إلى قبائل هناوية مذهبها إباضي، وقبائل غافرية مذهبها سني سلفي. انظر: شركة الزيت العربية الأمريكية. مصدر سبق ذكره، ص١٢٤-١٢٦.

(٦٨) جمال زكريا قاسم، دراسة لتاريخ الإمارات العربية ١٨٤٠-١٩١٤م ط٢، دار البحوث العلمية، الكويت، ١٩٧٤م، ص٩٧.

انتقل إلى صحار لوضع الترتيبات النهائية للهجوم. وبينما كان السلطان نائمًا في قلعة صحار دخل عليه ابنه السيد سالم[٦٩] فقتله، وتولى السلطة في مسقط، وكان ذلك في السابع والعشرين من رمضان عام ١٢٨٢هـ/ الرابع عشر من فبراير عام ١٨٦٦م[٧٠]. وهكذا أصيب بيلي بخيبة أمل شديدة من فشل حملته على الموانئ السعودية، ومن قتل السلطان ثويني وفشل حملته على البريمي.

تلقى بيلي هذه الأنباء بغضب شديد، وأراد القيام بعملية كبيرة من أجل استعراض القوة البريطانية؛ لتعويض الفشل الذي منيت به خططه، فتوجه إلى ميناء صور وطلب من زعماء الجنبة حلفاء السعوديين دفع ٢٧ ألف دولار نمساوي، وإلا فإنه سوف يقصف بلدتهم، وأبدى هؤلاء الزعماء استعدادهم لدفع هذا المبلغ بعد عودة سفنهم من شرق إفريقيا والبحر الأحمر في فصل الربيع، إلا أن بيلي رفض هذا الطلب، وبدأت السفن البريطانية بإطلاق نيرانها على معاقل البلدة فدمرتها، ودمرت السفن الشراعية الموجودة في الميناء، وكان ذلك في رمضان ١٢٨٢هـ/فبراير ١٨٦٦م[٧١].

---

(٦٩) السيد سالم بن ثويني بن سعيد بن سلطان البوسعيدي، تولى الحكم بعد والده ولم يلق قبولاً من العمانيين؛ لأنه قتل أباه، لذا لم يستمر في الحكم أكثر من عامين ما بين عامي١٢٨٢-١٢٨٥هـ/ ١٨٦٦-١٨٦٨م حيث هرب إلى مسقط بعد ثورة القبائل عليه. انظر: السالمي، مصدر سبق ذكره، ٢/٢٣٦وما بعدها؛ شركة الزيت العربية الأمريكية، مصدر سبق ذكره، ص٣٥، ٣٧.

(٧٠) السالمي، مصدر سبق ذكره، ٢/٢٣٤.

(٧١) لوريمر، مصدر سبق ذكره،٣/١٦٧٣؛ كيلي، بريطانيا والخليج، ٢/٤٦٦-٤٦٧.

وعلى أي حال، فقد تلقى بيلي أخيراً رسالة من حكومة الهند البريطانية تأمره بعدم مطالبة السعوديين بتعويضات، فعادت سفن الأسطول البريطاني إلى بومباي، وفي الوقت نفسه وصلت إلى بيلي خطابات من الإمام عبدالله بن فيصل الذي تولى الإمامة بعد أبيه، وكانت تلك الخطابات مؤرخة في ١٠ رمضان ١٢٨٢هـ/ ٢٨ يناير ١٨٦٦م، وقد وافق الإمام عبدالله في خطابه الأول على الاقتراح الذي سبق أن تقدم به بيلي للإمام فيصل بن تركي قبل عدة أشهر للتوسط في الخلافات القائمة بين مسقط والرياض. أما الخطاب الآخر فكان رداً على الإنذار البريطاني، حيث أبدى فيه الإمام عبدالله رغبته في التشاور، وأعلن أن قبيلة الجنبة هي المسؤولة عن عمليات السلب والنهب وخلافها، مما تعرض له الرعايا البريطانيون في ميناء صور، إلا أنه لا يستطيع الحصول على تعويضات من هذه القبيلة، وأبدى الإمام عبدالله استعداده لإرسال وكيل إلى بيلي ينوب عنه في تسوية الخلافات بين الجانبين[٧٢].

وفي الخامس من ذي الحجة عام ١٢٨٢هـ/الحادي والعشرين من إبريل ١٨٦٦م، التقى بيلي في بوشهر مع مبعوث الإمام عبدالله بن فيصل الذي كان قد وعد بإرساله، وهو محمد بن عبدالله بن مانع، وبعد هذا اللقاء حصل بيلي على بيان من المبعوث السعودي جاء فيه:

(٧٢) لوريمر، مصدر سبق ذكره، ٣/١٦٧٣-١٦٧٤.

"١ - خولني الإمام عبدالله بن فيصل أن أطلب إلى الصاحب المقيم في الخليج ليكون وسيط الصداقة بين الإمام عبدالله بن فيصل والحكومة البريطانية.

٢ - أؤكد للمقيم في الخليج نيابة عن الإمام عبدالله بن فيصل، أنه لن يلحق الأذى أو الضرر بالرعايا البريطانيين المقيمين في الأراضي الداخلة تحت سيطرته.

٣ - أؤكد للمقيم في الخليج نيابة عن الإمام عبدالله بن فيصل أن الإمام لن يهاجم أو يلحق الأذى بأراضي القبائل المتحالفة مع الحكومة البريطانية، ولاسيما تلك المقيمة في مملكة مسقط، باستثناء تلقي الزكاة المألوفة منذ أمد بعيد"(٧٣).

ومهما يكن الأمر، فإنه يستنتج من هذا التصريح - الذي لم يعثر على أصل عربي له - أن بيلي يعتبر حكومته طرفًا مباشرًا في الخلافات القائمة بين مسقط والرياض، وقد اعتمد على كونها حامية لمسقط(٧٤).

والواقع أن الظروف التي تسلم فيها الإمام عبدالله دفة الحكم في الرياض وخروج أخيه سعود ثائراً عليه هي التي دفعت هذا الإمام إلى مثل هذا الالتزام، هذا إضافة إلى أن الحكومة السعودية تريد استمرار دفع الزكاة ليكون ذلك علامة على التبعية، وهذا ما تم الاتفاق عليه مع بيلي.

---

(٧٣) جون كيلي، الحدود الشرقية لشبه الجزيرة العربية، ترجمة خيري حماد، ط١، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٧١م، ص١٣١-١٣٢.

(٧٤) أبو علية، مرجع سبق ذكره، ص٢٤٦.

أرسل بيلي هذا البيان إلى حكومة الهند البريطانية يُطلعها عليه ويطلب رأيها فيه، فجاء الرد بالموافقة عليه، مع تخويله صلاحية تسوية الأمور بين مسقط والرياض، على ألا يلتزم بأي تعهد بشأن ضمان استمرار دفع الزكاة، وسمحت هذه الحكومة لبيلي بأن يقوم بدور الوسيط بين الجانبين إذا ما نشب بينهما خلاف[٧٥].

وبعد هذا الالتزام من الإمام عبدالله بن فيصل هدأت حدة عداء بيلي للسعوديين بعد أن اعتدت قوات الأسطول البريطاني على القطيف والدمام، ودكت حصون ميناء صور، ونكلت بقبيلتي بنو بو علي والجنبة، وأسهمت في تأييد السلطان العماني ضد خصومه، وضمنت عدم تدخل الإمام السعودي في شؤون مسقط بموجب هذا البيان، إضافة إلى الصراع الدائر في نجد بين الإمام عبدالله وأخيه سعود. وهذا ما قلل من فرص استئناف السعوديين لنشاطهم في عمان.

ولذلك نجد أن بيلي كتب خطاباً إلى الإمام عبدالله أبدى فيه ارتياحاً للبيان السعودي، وقال: "تلقيت كتاب سموكم الودي من يد خادمكم الأمين محمد بن عبدالله بن مانع وحاشيته. لقد صرحتم بأنكم ترغبون في السلام، وسلمني مندوبكم ورقة، أبعث طيه بنسخة منها، بعد موافقة حكومة جلالتها عليها. وإذا حدث ونشأت صعوبات فيما بعد، حول ما تدفعه مسقط من الزكاة لكم، فإن الحكومة البريطانية

(٧٥) كيلي، بريطانيا والخليج، ٢/٤٧٦؛ العابد، مرجع سبق ذكره، ص٥٠.

لا تريد أن تتدخل في الأمر، أو أن تصبح كفيلاً في مسألة تهمكم أنتم والسلطان، ولكنها لا تمانع في استخدام وساطتها لوضع تفاصيل اتفاق بينكما، وقد أبلغني مندوبكم أنه في حالة ما إذا نشأ مثل هذا الأمر، فإنكم ستكتبون إليّ وتطلبون وساطتي. إني آمل أن يصلكم كتابي هذا وأنتم بخير، وإذا كانت لديكم أي صعوبة فأرسلوا إلي مندوباً أميناً، وسأكون مسروراً دوماً لمقابلة مندوبيكم مقابلة ودية، كما جرى مع محمد بن عبدالله بن مانع"(٧٦).

وعلى الرغم من هذا التقدم في العلاقة بين الجانبين السعودي والبريطاني إلا أن بيلي لم يَزَل مستمراً في تأييد سلاطين مسقط ضد السعوديين، وهذا ما دفع بهؤلاء السلاطين إلى التنصل من دفع الزكاة، ولا سيما بعد بدء الحروب بين أبناء الإمام فيصل(٧٧).

وعندما تولى السيد عزان بن قيس الحكم في عمان في الفترة ما بين عامي ١٢٨٥-١٢٨٧هـ/ ١٨٦٨-١٨٧١م، سارع بالاستيلاء على البريمي وقضى على النفوذ السعودي هناك، وكتب رسالة إلى بيلي يخبره بهذا الأمر(٧٨)، ورغم أن حكومة الهند البريطانية كانت لا تعترف حتى تاريخ هذه الرسالة

(٧٦) أمين سعيد، تاريخ الدولة السعودية، د. ط، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، د. ت، ١/١٦٤.

(٧٧) أبو علية، مرجع سبق ذكره، ص٢٤٩.

(٧٨) رسالة بالعربية من عزان بن قيس إلى بيلي مؤرخة في جمادى الأولى ١٢٨٦هـ. انظر:

I.O.R, R/15/6/3

بحكومة عزان بن قيس، إلا أن بيلي عبّر عن سروره بهذه المناسبة وأرسل تهنئته إلى عزان(٧٩)، كل ذلك نكاية بالسعوديين.

ومهما يكن الأمر، فقد شهدت السنوات الباقية من عمل بيلي في الخليج العربي - بصفته مقيمًا سياسيًا بريطانيًا - تراجعاً للوجود السعودي في منطقة الخليج العربي عامة، وعمان خاصة؛ نظراً للنزاع بين أبناء الإمام فيصل بن تركي حول الحكم، وهو ما أدى في نهاية المطاف إلى سقوط الدولة السعودية الثانية. ولذلك لم يقم بيلي بجهود تذكر ضد السعوديين في السنوات الأخيرة من عمله في منطقة الخليج.

(79) I.O.R, R/15/6/3, Afew Items of Intellrgane Collected by political Agent Muscat at sohar and Berka on 21st and 22nd july 1869.

الخاتمة:

استعاد الإمام فيصل بن تركي النفوذ السعودي في عمان مع مطلع فترة حكمه الثانية، وأصبحت منطقة البريمي مركزاً لنفوذه في جنوب شرق الجزيرة العربية، وأدى السلطان ثويني بن سعيد الزكاة له، ودانت كثير من قبائل المنطقة بالتبعية للدولة السعودية الثانية.

والواقع أنه لم تكن هناك علاقة واضحة في أول الأمر بين الدولة السعودية الثانية وبريطانيا، في وقت تدعي فيه حكومة الهند البريطانية عدم التدخل في شؤون العرب الداخلية ما دامت مواصلاتها في الخليج وبحر العرب آمنة. إلا أنه منذ تولي لويس بيلي عمله مقيمًا سياسياً لحكومة الهند البريطانية في الخليج العربي في الفترة ما بين عامي ١٢٧٨-١٢٩٠هـ/ ١٨٦٢-١٨٧٣م، اتخذت السياسة البريطانية تجاه الدولة السعودية الثانية مسلكًا يتصف بالعدائية، ولا سيما بعد الزيارة التي قام بها بيلي إلى الرياض عام ١٢٨١هـ/ ١٨٦٥م، حيث عبَّر له الإمام فيصل عن عدم رضاه عن السياسة البريطانية تجاه العرب، وما نتج عنها من تدمير سفنهم، وتعطيل تجارتهم بحجة القرصنة أو غيرها.

ومنذ عودة بيلي من الرياض أخذ بتأييد السلطان ثويني بن سعيد ضد السعوديين، وخالف مبدأ الحياد الذي تدعيه حكومة الهند البريطانية. وكانت التقارير التي بعثها بيلي إلى حكومته قد أدت إلى زيادة الدعم البريطاني للسلطان العماني في نهاية المطاف.

ولم تلبث سفن الأسطول البريطاني أن اعتدت على الموانئ السعودية في الدمام والقطيف، ودكت قلاعها عام ١٢٨٢هـ/ ١٨٦٦م، بإشراف ومتابعة من بيلي الذي اتهم الحكومة السعودية بأنها وراء الأحداث التي وقعت في ميناء صور في العام نفسه. ولم يكتف بيلي بذلك، بل نكل بالقبائل الموالية للسعوديين في عمان، على الرغم من عدم رضا حكومته. وحرَّض بيلي السلطان ثويني بن سعيد على الاستيلاء على البريمي من السعوديين ووعده بالدعم والمؤازرة.

وعندما تولى الإمام عبدالله بن فيصل الحكم في الرياض عام ١٢٨٢هـ/ ١٨٦٦م، سارع بإرسال عدد من الرسائل إلى بيلي لبدء علاقة جديدة تقوم على الاحترام المتبادل، وهذا ما نتج عنه البيان الذي كتبه محمد بن مانع المبعوث السعودي إلى بوشهر باسم الإمام عبدالله بن فيصل، وقد أكد فيه رغبة الحكومة السعودية في السلام مع السلطان العماني، شريطة دفع الزكاة إلى الرياض، وعدم ممانعتها في وساطة حكومة الهند البريطانية تجاه أي خلاف ينشأ بين مسقط والرياض. ولم تلبث هذه الحكومة أن وافقت على هذا البيان.

ويفترض أن السياسة البريطانية تجاه السعوديين بعد هذا البيان تأخذ صفة الحياد، إلا أن بيلي لم يلبث أن سارع بتهنئة عزان بن قيس بعد أن استولى على البريمي من السعوديين، رغم أن حكومته لا تعترف بحكومة عزان.

وهكذا نجد أن سياسة بيلي العدائية وأعماله العسكرية تجاه السعوديين أسهمت في الحد من النفوذ السعودي في

عمان، وأدت إلى توتر العلاقة بين حكومة الهند البريطانية والدولة السعودية الثانية، على الرغم من أن هذه الأعمال من بيلي ضد السعوديين لم تجد تأييداً كافياً من حكومته، وهذا ما يؤكد النزعة العدوانية التي تميز بها بيلي ضد الدولة السعودية.